

أضواء البيان

@ 211 @ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } . .

ولما ظن الكفار أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ، لا لحكمة تكليف وحساب

وجزاء ، هددهم بالويل من النار ، بسبب ذلك الظن السيء ، في قوله تعالى : { وَمَا

خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِطِلْإٍ ذَالِكِ ظَنُّ الَّذِينَ

كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } . .

وقد نزه تعالى نفسه عن كونه خلق الخلق عبثاً ، لا لتكليف وحساب وجزاء ، وأنكر ذلك على

من ظنه ، في قوله تعالى { أَفَحَسِبْتُمْ أَن نَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَن نَّكُمْ

إِلَٰهَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَدْعَالِي إِلَٰهَ الْمَلِكِ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } . .

فقوله (فتعالى) أي تنزه وتعاظم ، وتقدس ، عن أن يكون خلقهم لا لحكمة تكليف وبعث ،

وحساب وجزاء . .

وهذا الذي نزه تعالى عنه نفسه ، نزهه عنه أولو الألباب ، كما قال تعالى : { إِنَّ فِي

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّ

وَلِيِّ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

جُنُوبِهِمْ } إلى قوله : { رَبِّ بَشِّرْنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقَدْ نَدَا

عَذَابِ النَّارِ } ، فقوله عنهم { سُبْحَانَكَ } أي تنزيهاً لك ، عن أن تكون خلقت هذا

الخلق ، باطلاً لا لحكمة تكليف ، وبعث وحساب وجزاء . .

وقوله جل وعلا في آية الأحقاف هذه : { مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } ، يفهم منه أنه لم يخلق ذلك باطلاً ، ولا لعباً ولا عبثاً

. .

وهذا المفهوم جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله تعالى { وَمَا خَلَقْنَا

السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِطِلْإٍ } ، وقوله تعالى : { رَبِّ بَشِّرْنَا مَا

خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا } ، وقوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } . .

وقوله تعالى في آية الأحقاف هذه { وَأَجَلٍ مُّسَمًّى } معطوف على قوله : {

بِالْحَقِّ } أي ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا خلقاً متلبساً بالحق ، وبتقدير

